الرياض

مسؤولية

# المرأة السعودية .. والسياسة والوطن..

ناهد با شطح

أكد تقرير في الدورة الخاصة للجمعية العامة للأمم المتحدة على ضرورة أن تقوم الحكومات والجهات المعنية بوضع البرامج التي تسهل على المرأة الوصول الى المعلومات الاقتصادية أو السياسية، وتعزز من قدرتها على تنمية مواردها.. مع ضرورة أخذ الاختلافات الثقافية في الاعتبار عند وضع مثل هذه البرامج وتطبيقها، وقد عرضت(IFES) لدراسة قامت بها عن الاتجاهات العالمية لامكانية وصول المرأة للمعلومات السياسية أو الاقتصادية والمشاركة فيها، جمعت المعلومات من خمس دراسات مسحية تم اجراؤها في بيلاراوس، اندونيسيا، غانا، كازاخستان،وأوكرانيا.

وجاءت النتيجة انه كلما ارتفع المستوى التعليمي للمرأة كلما زادت امكانية حصولها على المعلومات، وكذا زاد اهتمامها ورغبتها في المشاركة في عملية التحول السياسي والاقتصادي.

والسؤال هل يكفي التعليم والمعلومات لتضطلع المرأة في المجتمعات الانسانية بدورها في المشاركة السياسية والاقتصادية أم أن عملية الوعي المجتمعي لابد ان تبرز لتنقذ المرأة من مستنقع الأمية الحديثة في زمن المعلوماتية!؟

وماهو أهمية ان يكون لدى النساء وعي سياسي يؤهلن لاحداث التنشئة السياسية في المجتمع؟

المرأة والجفاف الثقافي:

يذكر ان آخر احصاء رسمي لدينا كما نشرت جريدة الحياة اللندنية اظهر ان النساء يشكلن ,557% من اجمالي عدد السكان ومن المثير ان مؤشر تعليم المرأة الجامعي العالي لدينا قد بلغ درجة عظيمة حيث ارتفع عدد خريجات الماجستير الى 815خريجة في عام 1420هـ وقد كان في عام 1410هـ فقط 13خريجة، اما درجة الدكتوراه فقد وصل عدد الحاصلات في عام 1420هـ الى 376خريجة.

كما ان نسبة النساء في قوة العمل لدينا وان كانت ضئيلة لكنها في ارتفاع ملحوظ امام كل المعطيات والمؤشرات التي تومي الى حركة تطور متوازن تعيشها المرأة السعودية - التي وصلت الى أعلى المستويات العلمية والمناصب الادارية العليا في زمن قياسي اذ لم يبدأ التعليم الا منذ اقل من نصف قرن - فان ذلك لم يجيء اعتباطا بل هو نتاج سياسة حكيمة وتخطيط سليم لاشراك المرأة في التنمية، وما فتئ ولاة الامر في كل مناسبة يكرسون عبر كلماتهم الاحترام والتقدير لدور المرأة التنموي ويشيدون بانجازاتها في مختلف القطاعات المجتمعية، حين التقى الأمير عبدالله بن عبدالعزيز بالمسؤولين عن شؤون التعليم للبنين والبنات في نوفمبر 2001م قال: (إن شغل المرأة الوظائف القيادية في قطاع تعليم البنات واعطاءها صلاحية صنع القرار مأخوذ في الحسبان، لكن الامور تحتاج الى بعض الوقت ومن سار على الدرب وصل، ونحن ان شاء الله سائرون).

وقد سبق له ان صرح في حديثه في الاجتماع الاول لمؤسسة الملك عبدالعزيز ورجاله لرعاية الموهوبين قائلا: "ان الموهبة ليست حكرا على الرجل من دون المرأة، فالمرأة جزء مهم من المجتمع ولن نسمح لأحد بأن يقلل من شأنها" كما لفتت في هذا المجال تصريحات الأمير سلطان بن عبدالعزيز في الغرفة التجارية بجدة في (مايو) 2001م عندما كشف عن وجود اتجاه حكومي لتوسيع فرص عمل المرأة في عدد من القطاعات الرسمية مثل وزارتي الخارجية والتخطيط، اضافة الى احلال 70في المئة من العاملات مكان الرجال في تعليم البنات.

إن المرأة السعودية تحتاج في هذه الفترة الهامة من تاريخ تطورها الى فرصة حقيقية لتشارك بقوة في التنمية لا سيما ولديها من الضوابط التشريعية ما يجعلها تتطور بتوازن وتخرج عن الازمة التي تصيب الوسط النسائي في معظم المجتمعات العربية في عصر التدفق المعلوماتي حيث يمكن ان يبرز جفاف الوعي وانفصال المرأة عن التفاعل الثقافي، يحدث ذلك وفق ارادة المجتمع حين يفصلها عن حركة تطوره وانفتاحه الحضاري.

المرأة في تعداد السكان لدينا اكثر من نصف المجتمع، شريحة بهذا الحجم لابد ان تلعب دورا ملحوظا في اية عملية تغيير اجتماعي، واذا كانت هذه الشريحة ليست بالمستوى الثقافي الذي يؤهلها للمشاركة في عملية التغيير، فأي مشروع ثقافي تربوي سوف تضطلع به؟!

واذا كان المجتمع يضع تثقيف المرأة ووعيها في مرحلة متأخرة من الاولويات فانه هو المسؤول عن سطحية الوسط النسائي وانعكاس ذلك على مشروع التربية والذي هو من اهم المشاريع التي يعول عليها المجتمع في نهضته فليست التربية الا ركيزة هامة من الركائز التي يبنى عليها المجتمع حضارة ابنائه.

القضية ليست ان تتعلم المرأة فقط بل عليها ان تساهم في بناء المجتمع لا ان تكون عالة عليه تحصد موارده دون انتاجية ملحوظة، لا سيما وان فرص التعليم والعمل لم تعد تقليدية تتطلب ضرورة خروج المرأة من المنزل فهناك التعليم عن بعد والعمل من المنزل وهناك ممارسة التجارة الالكترونية وغيرها من الفرص التي ستفتح مجالا واسعا لتطوير ذات المرأة دون الاخلال بمسؤوليتها الأولى تجاه الأسرة.

المرأة والتربية الوطنية:

من زاوية الاهتمام بعدم فصل المرأة عن العالم من حولها نتساءل عن تجاهل المسؤولين في شؤون تعليم البنات عن ادراج مادة التربية الوطنية في مناهج البنات بينما هي في مدارس الاولاد منذ اكثر من خمس سنوات.. ولازال النقاش يدور في صحفنا عن جدواها ربما لأن المنهاج كان تقليديا وهذا ما جعل وزير المعارف مشكورا يناشد الطالبة المشاركة في تطويره.

القضية لا تكمن في ان البنات لن يتعلمن حب الوطن الا عبر مادة التربية الوطنية فالموضوع اعمق من ذلك.. فالمادة تشكل رافدا هاما من روافد التنشئة الاجتماعية والسياسية واكتساب القيم للفرد سواء كان ذكرا ام أنثى، وحين تعزل المرأة عن الاهتمام بالسياسة فسوف لا تتعهد بتعليم الاطفال معنى الوطنية اذ ان فاقد الشيء لا يعطيه.

في مقالته "دور المناهج التعليمية في مواجهة العنف" حدد الكاتب "ميشال بدر" اهداف مادة التربية الوطنية وفق مراحل هي:

-1 )المرحلة الابتدائية: والأهداف هي:

- توجيه الطفل الى تنمية الشعور الايجابي نحو الذات، اكتساب التفاعل الايجابي مع افراد الاسرة والآخرين في المجتمع، التمرس على احترام النظام العام في المجتمع، ترسيخ القيم الانسانية والأخلاقية واحترام قيم الحياة اليومية والعمل على تطبيقها، الحفاظ على البيئة، احترام نظام المجتمع المدرسي وقيم المجتمع المدني.

-2المرحلة المتوسطة والمرحلة الثانوية:

تزداد هنا الأسئلة التي يطرحها على نفسه حول هويته الشخصية وعلاقته بالآخرين وبالمؤسسات القائمة وسلطتها عليه ودوره فيها، ويتبلور ميله الى النقد والمناقشة، وتركز الأهداف هنا على:

التدريب على الالتزام بحقوق المتعلم وواجباته كمواطن، التعرف على الحريات العامة والحقوق الشخصية والاجتماعية والواجبات الوطنية، التوعية بدور الاسرة في اقامة الروابط بين مؤسسات الوطن المختلفة بما يؤمن الاستقرار الاجتماعي والوطني، التدريب على ممارسة سلوك يومي يرتكز على القيم والمثل العليا كالتعبير عن الذات ديمقراطيا، واحترام الآخر، وتعلم فن الحوار حين النزاع، التعريف بأهمية وسائل الاعلام والاتصال في تحسين الحياة العامة وتعزيز التفاهم بين الأمم والشعوب، التعريف بالتغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والسكانية التي تمر بها المجتمعات المعاصرة وما ينشأ عنها من نتائج ايجابية ينبغي تشجيعها.(

والسؤال هل هذه هي اهداف منهاج التربية الوطنية الذي يدرس للطلاب لدينا؟

والسؤال الأهم لماذا تحرم الفتاة لدينا من هكذا مادة دون مبرر؟

التنشئة السياسية أم الاجتماعية؟

يظن البعض ان السياسة مرحلة متقدمة من الوعي لن تحظى بها النساء دون نضال كما يحدث في بعض المجتمعات العربية او هي ترف للمرأة تخوض غمار الحديث فيه كتعويض عن ممارسة العمل السياسي في المجتمعات المحافظة لكن المثير حقا ان المرأة في صدر الاسلام ووقت حياة الرسول شاركت في السياسة ولم يعزلها الرسول ابدا عن هذا المجال.

لكن علينا ان نفرق بين التنشئة السياسية والعمل السياسي الامر الذي يدعونا نؤكد تنصلنا من مسؤولية التطلع الى الحقوق السياسية للمرأة انما حديثنا عن اهمية الوعي السياسي للمرأة المنوط بها تربية الأجيال الجديدة وحماسنا ينطلق من اهمية التنشئة السياسية.. تلك العملية الهامة الممتزجة بالتنشئة الاجتماعية حيث السياسة جزء من الاجتماع كما ان الظاهرة السياسية في الاساس هي ظاهرة اجتماعية.

الفرد منا في مجتمعه رجلا او امرأة هو في البدء طفل لابد ان يمر بعملية التنشئة الاجتماعية فيكتسب ثقافة مجتمعه (المعارف، القيم، السلوك، الأفكار) وتلعب الاسرة والمدرسة الدور الأكبر في هذه المرحلة وهنا تظهر اختلافات الفرد في مجتمع دون آخر بحسب ثقافته (اللغة، اللباس، القيم الدينية، والاخلاقية).

ثم يندمج الفرد في المجتمع ويحصل التكيف مع البيئة، اذ يشعر الشخص بالانتماء الحقيقي للجماعة.

والمجتمع الذي ينجح في تكيف ابنائه معه يصعب اختراقه حيث يكون الفرد مستقلا فيه بمكونات شخصيته الفردية والاجتماعية وهذا هو هدف التنشئة الاجتماعية، اما التنشئة السياسية فهي كما يعرفها جرين شتاين وسيدني:

"التلقين الرسمي وغير الرسمي المخطط وغير المخطط للمعارف والقيم والسلوكيات السياسة وخصائص الشخصية ذات الدلالة السياسية وذلك في كل مرحلة من مراحل الحياة عن طريق المؤسسات المختلفة في المجتمع."

والأسرة كما مؤسسات المجتمع عادة تمارس التنشئة السياسية بشكل غير مباشر نظرا لترابط هذه العملية مع التنشئة الاجتماعية الضرورية لتكيف الفرد داخل مجتمعه، فاذا لم نهتم بتثقيف الفتاة ووعيها السياسي بالاحداث من حولها فنحن لا نؤهلها لدورالأم الواعية التي تزرع في الابناء الانتماء الحقيقي للوطن من خلال ربطهم في وعي وتنوير بقيم المجتمع وتأكيد اتصالهم بمجتمعهم والمجتمعات الأخرى ضمن اطر ثقافية واضحة لا تذوب فيها هويتهم.

الدور السياسي للمرأة المسلمة:

تعتبر بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم نقطة التحول في السيرة السياسية للمرأة في صدر الاسلام، حيث دعت البيعة الى المساواة في المسؤولية والتكليف اذ يقول تعالى في سورة الممتحنة: {يأيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم}.

ولم تعزل المسلمة عن السياسة فلديها مسؤولية عامة كما الرجل، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) أخرجه البخاري ومسلم.

وقد كانت حقوق المواطنة قاصرة على الأشراف والشريفات فقط في الجاهلية وحتى الإجارة مثلا لم تكن مقبولة من الجميع، وكذلك الشورى فلما جاء الاسلام اسس مفهوم المواطنة الكاملة للرجل كما للمرأة وعزز مفهوم الاجارة للمرأة وإن كانت لكافر استجار بها اذ يقول صلى الله عليه وسلم: (إن المرة لتأخذ للقوم) اي تجير على المسلمين.

وشاركت المرأة بالمشورة في صنع القرار السياسي في المجتمع، وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية انه اشتكى الى أم المؤمنين ام سلمة رضي الله عنها رفض المؤمنين التحلل من الاحرام والرجوع دون دخول مكة، واشارت عليه بان يبدأ بالحلق والنحر أولا فتبعه المسلمون مما جعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها: "حبذا أنت ياأم سلمة لقد نجا الله بك المسلمين اليوم من عذاب أليم."

كما كان للمرأة دورها في المعارضة السياسية واشتهرت في عهد الراشدين مقولة عمر حين عارضته امرأة من عامة الناس: "أصابت امرأة وأخطأ عمر"، وتحملت المرأة مسؤولية الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وقد ورد أن عبدالملك بن مروان لعن خادمه لانه ابطأ، فلما اصبح قالت له أم الدرداء: سمعتك الليلة لعنت خادمك حين دعوته، فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لايكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة) أخرجه مسلم.

كما كانت المرأة معلمة وموجهة، فقد قالت الشفاء بنت عبدالله: (دخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم وانا عند حفصة، فقال لي: ألا تعلّمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة) وتؤسس ايضا لثقافة المجتمع فترعى المنتديات، عن الامام مسلم عن فاطمة بنت قيس قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : (انتقلي الى أم شريك) فقلت: سأفعل، قال: (لا تفعلي ان أم شريك كثيرة الضيفان يأتيها المهاجرون الأولون) وهنا المعنى أنه عندما يأتي المهاجرون الأولون فالوقت للحوار والتدارس والنقاش.

والمرأة كذلك صاحبة مهنة تتعلمها وتمارسها، فقد روى جابر قائلا: طلقت خالتي، فأرادت ان تجُدّ نخلها، فزجرها رجل أن تخرج، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (بلى، جدّي نخلك، فانك عسى ان تصدَّقي او تفعلي معروفا) أخرجه مسلم.

كما شاركت في الحروب ودافعت عن الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت النساء يخرجن في الغزوات مع النبي صلى الله عليه وسلم يجاهدن في سبيل الله ويسقين القوم، ويداوين الجرحى.

المرأة والوطن:

إن المرأة المسلمة بعد بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم وما بعد عصر التشريع لم تتوان عن حمل مسؤولية بناء المجتمع والمشاركة مع الرجل وفق ما حدد لها الاسلام من ضوابط ولذلك كان احساسها بكينونتها التي منحها لها سيد الخلق نورا تهتدي به لتنتج اجيالا تبني المجتمع.

ليس القضية ان تعترك المرأة العمل السياسي ولكن عليها أن تعلم انها ليست بمعزل عن السياسة فالعالم اليوم قرية صغيرة وكونها كائنا انسانيا تعيش في المجتمع غير منفصلة عنه فانها في قلب الحدث شئنا أم أبينا.

بل ان عليها دورا كبيرا في تلقين الأبناء معنى الوطنية والانتماء في زمن تداخلت فيه المعلومات ليحتاج فيه النشء الى مرجعية قوية تخاطب عقله ولا تخدره.

nahed@alriyadh-np.com